

غرام إدوارد الثالث

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

بإدعية على مولاي الملك ؛
فماذا في مقدور عبدتك
أن تفعل لتزيل عن
نفسك أسباب الأذى
المعاصي والكآبة
المطبقة ؟

إدوارد - عفواً يا سيدتي ، إني لشارد اللب ؛
وما أستطيع أن أنتز أزهار العزاء على أرخص من
الفضيحة والعار ؛ فاني قد أخطأت يا كوتنس ،
منذ دخلت هذا المكان

الكوتنس - حاشا ، يا مولاي ، أن يكون
بين أهل هذه الدار من يستطيع أن يرى ما يلي
خطئاً !

أطلعني يا مولاي الكريم على أسباب امتناعك
إدوارد - وماذا يكون مبالغ قربي من الشقاء
إذا أما أطمعتك على ما تطلبين ؟

الكوتنس - يكون ذلك على قدر ما تستطيع
جميع قواي النسوية أن تبذل في مشتري الدواء .
إدوارد - إذا كنت تقولين حقاً فني ذلك
كل أسباب الرضا ؛ فاستخدي جميع قواك في
تحقيق أسباب سعادتي ، وعندئذ أسعد يا كوتنس
أو أموت

الكوتنس - سأفعل ، يا مولاي ، ما تريد
إدوارد - أقسمي على ذلك يا كوتنس
الكوتنس - أقسم باسماء أني سأفعل
إدوارد - إذن انتحي جانباً غير بعيد
واذكري أن هنا ملكاً مغموراً بك
واذكري أن في مقدورك أن تسمديه ، وأنت

يتحدث الناس اليوم عن غرام دوق وندسور
(الملك إدوارد الثامن) بسيدة كانت متزوجة يوم
أحبها ، وعما انتهى إليه ذلك الحب من طلاق السيدة
زوجها ، ونزول الملك عن عرشه للاقتراح بها .
وهنا قصة ملك آخر من ملوك الانجيز هو إدوارد
الثالث الذي أحب كذلك سيدة متزوجة ، وقد
انتهى أمد غرامه على ما يرى في هذه التمثيلية الشعرية
التي وضعها بعضهم ، وقد نسبت إلى شاعر الانجيز
الأكبر شاكسبير

وتلخص القصة في أن الحرب كانت قائمة بين
إدوارد الثالث وبين الاسكتلانديين ، وقد حاصر
الاسكتلانديون حصن روكسبرج وأمسروا حاكمه
لورد سالسبري ، وقامت زوجته لادي سالسبري
بالدفاع عن الحصن دفاع الأبطال ، حتى إذا اقترب
الملك إدوارد من الحصن تخلى عنه المحاصرون
وتراجعوا هاربين أمام جيوش الملك

وفتحت لادي سالسبري أبواب الحصن أمام
الملك الذي أصبح هو وحاشيته ضيوفها ؛ وما كاد
الملك يرى ربة القصر حتى أحس بحبها بهاجم قلبه
وشعر بحرج موقفه ، وفاجأته اللادي واقفاً إلى
نافذة الردهة شارد الفكر فجري بينهما هذا الحوار :
الكوتنس - يؤلني أن أرى مظاهر الحزن

قد أقسمت على أن تبذل في سبيل إسماده كل ما تستطيع قوتك تحقيقه من أسباب العزاء
افعل ذلك كله ثم خبرني متى تتحقق سعادتي
الـكـوـنـتـس — لقد فعلت ذلك كله ، يا مولاي
الملك المهيّب

واقـد قدـمت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص
كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن
أحيطك بها

فقل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟
إدوارد — لقد سمعتني أقول إنني مفرم بك
الـكـوـنـتـس — لئن كنت مفرماً بجمالي فخذ
إن استطعت ، فهو على ثقافته لا يساوي في نظري عشر
قيمه ؛ ولئن كنت مفرماً بفضيلتي فخذها إن استطعت
فنبع الفضيلة يعني بمقدار ما ينفق منه
وليكن غرامك يا مولاي بأى مما أستطيع أن
أعطى وما أستطيع أن تأخذ ، فلتنه عني
إدوارد — إن جمالك هو الذى أريد أن أنعم به
الـكـوـنـتـس — وددت يا مولاي لو كان جمالى
دهاناً ؛ إذن لمحوته فخرمت منه نفسى وقدمته اليك
ولكنه ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي
ملازم لها

فاذا أنت أخذت أحدها أخذت الثانى معه ،
فجالى كالخيال المتواضع يتبع ضوء الشمس المشرقة
في صيف حياتي
إدوارد — ولكنك تستطيعين أن تميرينى
إياه فأنعم به

الـكـوـنـتـس — ليس أسهل من أن أعير روى
بعيداً عن جسمى — والجسم في قيد الحياة —
إلا أن أعير جسمى — وهو مأوى روى —

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظة بها
إن جسمى هو مخدع روى ، وساحتها ،
ومعبدتها ؛ وروى ملاك ، تقى طاهر ، سماوى ،
غير مدنس
فاذا أعمرتك بيت هذا الملك يا مولاي قتلت
روى المسكينة ، وقتلتى روى المعبدة

وطلب الملك من الأزل وارويك ، والد
الـكـوـنـتـس أوف سالسبرى — بحكم عين الطاعة
التي أقسمها له — أن يذهب إلى ابنته فيأمرها
باطاعة رغبات الملك . وتظاهر الأزل بالطاعة ، وكان
موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتى بينه وبين
ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأزل
في أداء واجب الطاعة لليمين التي أقسمها ، وواجب
الشرف والحرص على كرامة ابنته
وارويك — كيف أستطيع أداء هذه المهمة
القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو
الأب الذى يقبل في مثل هذا الظرف التمس أن
يحرص ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بامرأة سالسبرى ... فهل أنكم ؟
لا ... إن سالسبرى صديق ؛ وأين هو الصديق
الذى يؤذى الصداقة بمثل هذه المثابة ؟

إذن لا أناديها ابنتى ولا أناديها امرأة صديق .
لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين
إن أنا إلا محام قادم من محكمة الجحيم
لبست روجه جسم وارويك
لأحمل إليك رسالة من الملك .

فلك أنجائت العظم مفرم بك أيها السيدة ،
والرجل الذى يستطيع أن يسلبك حياتك

السكوت نس - حصار غير طبيعي ... إذن ما أشد تسمى .. أأنجو من خطر الأعداء لأنهم من أصدقائي في خطر أشد منه فظاعة وقسوة ؟ أليست لدى الملك من وسيلة أخرى يدنس بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم في عروق وحمله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله المفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد في الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلوثت حلمة الضرع وقد جف معيته . إذن أتركوا الأثم حمله على الغارب ، وساموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة المانعة ، واحموا جميع القواعد التي تجزى على العار بالعار وتقابل الجريمة بالعقاب . لا ، بل دعوني أمت إذا كانت إرادة الملك الغاضبة تأتي إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع إرادته ، وأمثل الدور الذي يريد أن أمثله في ملهامة شهوته الفاضحة واروبك - أراك تتكلمين كما أردت أن تتكلمي . فاصنى إلى فما أنا بمعيد ما أسمعك من قبل ، فإن قبراً شريفاً أجل مكانة من نخدع الملك المدنس . وكلما عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كريماً كان ذلك العمل أو شائناً . والذرة الحقيمة التي تتطاير في شعاع الشمس تبدو للعين في أضعاف قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الجنة الهامدة التي يبدو كأنه يقبلها . وعميقة هي الضربات التي تحدثها الفأس القوية ، والجريمة التي ترتكب في المكان المقدس بتضاعف أثمها عشرات المرات . والعمل الشرير الذي يرتكب بحكم القوة إثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرود الذي يكسى بالملابس الجميلة البراقة الألوان يصبح منظرة

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطيعيه وأعيريه شرفك لتنفذى حياتك فكثيراً ما بضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التي تجفف الحشائش تنعش الأعشاب ؛ والملك الذي يدنسك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشعراء إن رمح أنسيل العظيم كان يشق الجروح التي يحدثها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوي يستطيع أن يصلح ما أفسد والأسد قادر على تنظيف فكيه الداميتين ، وعلى ستر قسوته بمظاهر الوداعة بينما فريسته الهالمة تتمد عند قدميه والملك يستطيع - في عظمتيه - أن يستر عارك وهؤلاء الذين يجروون على النظر ناحيته باحثين عنك إنما يفقدون نعمة البصر بالنظر إلى قرص الشمس وما مبلغ الضرر الذي يمكن أن تحدثه نقطة من السم في المحيط الهائل ؟ وعظامة المحيط كقيلة بتطهير كل ما يلقى فيه من المفاسد ، وتبجربدها من قوة الأذى ... واسم الملك العظيم يبرر سوء عمله ويكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلواً للذائق . واذكرى إلى ذلك أن لا ضرر في أن تفعل ما لا يمكن أن تصونه في مأمن من العار وهأنذا بأمر مليكى قد أبرزت الرذيلة في ثوب الفضيلة . وإنى أنتظر جوابك في قضية مولاي

أدعى ألى الزراية والاحتقار . إنى أستطيع يا ابنتى
أن أطيل الكلام فى وصف عظمة الملك وجسامته
العار الذى يلحقك من ورائها ؛ ولا تزيد الكأس
الذهبية منظر السم إلا بشاعة . وتبدو الليلة الظلماء
أشد ظلاماً إذا تخلصها البروق . والزئبقه الفاسدة
أخبث ريحاً من السمب العطن . وكل مجد ينحدر
إلى الأثم يتضاعف العار الذى ينشأ عنه . وإنى
لأترك الآث وقد أودعت نفسك دعواتى التى
ستقلب لمة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوثت
اسمك الذهبى الشريف بلوثة العار المموه بمظاهر
العظمة والمجد (ينصرف)

الكونتس — سأبعتك ، وإذا ما استدار عقلى
هذه الناحية فيغمر جسمى روحى فى هم غير
محدود النهاية

وفى أثناء ثورة عواطف إدوارد يصل ابنه
البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور فى
رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها فى حوار بينه
وبين الأمير يذكر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد
بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوته المفاجئة
الملحة ؛ وبينما هو فى هذا الحوار يتقدم اللورد
فيلمان قدوم اللادى سالبرى ، فيأمر الملك ابنه
بالانصراف والتسلى مع أصحابه ، وتدخل لادى
سالبرى فيجربى بين الملك وبينها هذا الحوار

الملك — الآن جئت يا صديقة روحى

لتريدنى من كذاتك القدسية

فى معارضة حبي جمالك الفتان !

الكونتس — أقدم منى أبى ، وهو يباركنى ..

الملك — أن تخضى لارادى
الكونتس — إنما ذلك حقك يا مولاي
الملك — على أن هذا يا أحب الناس إلى ليس
إلا مقابلة حق بحق ومبادلة حب بحب
الكونتس — بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،
والعداوة بالعداوة

والكنى إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا
ممانعتى ، ولا حبي زوجى ، ولا مكاتك السامية ،
ولا الاحترام الواجبة رعابته ، ولا شئ من ذلك
بقادر على أن ينقضى . وإذا لم يكن بد من أن
تتغاب قوتك وتطنى على كل هذه الاعتبارات فانى
أستبدل الرضا بالتمتع .

وسأرغم نفسى على عمل ما لم أكن لأعمله .
إنما أشرت يا مولاي أن تمحو تلك الموانع التى
تحول بين حب جلالتك وحبي

الملك — أذكرى هذه الموانع يا حبيتى ، وإنى
لأقسم بالسما على أن أزيلها
الكونتس — إنها حياتهما هى التى تقف
بين حبينا

وإنى لأغص إذ أقول ذلك يا مليكى

الملك — حياء من ياسيدتى ؟

الكونتس — فليعلم مولاي الملك الحبيب
أنها حياة ملكتك ، وسالبرى زوجى الشرعى ،
فهو بصفته هذه سيحول دون حبنا مادام حياً ،
ولن نستطيع أن ندم إلا بموتها

الملك — إن ما تطلبين فوق طاقة قوانيننا

الكونتس — وكذلك شأن رغباتك ، فإذا
كان القانون يستطيع أن يمنك من تنفيذ أحد
الأمرين ، فليمنك كذلك من محاولة الأمر الآخر

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبني كما تصف
إلا إذا أنت وفيت باليمين التي أقسمت
ادوارد - كفى . . فليمت زوجك والملكة
فأنك لا روع جالاً مما كانت هيرو
ولم يكن بيرواس ليندر بأقوى مني
وقد خاض مجرى الماء سعيًا إلى حبيبته .
أما أنا فساخوض جحيمًا من الدماء لأصل إلى
هيكل معبودتي

الكونتس - وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،
فستصبغ ماء النهر بدم قلبيهما الذي يشطر حبنا
 ويفصل بيننا . ونصيبا زوجي وزوجك من هذا
الدم متساويان

ادوارد - إن جمالك يحماهما جريمة موتهما
وبقدم الدليل الذي يقضى بأن يموتا
وأنا باسم هذا الدليل وبصفتي قاضيهما سأؤذيهمما
الكونتس - يا لله من الجمال المزيف ! ومن
القاضي الفاسد الضمير !

وعند ما تعقد محكمة السماء العالية فوق رؤوسنا
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، وتحاسبنا
على هذا الشر الجسم هل نستطيع إلا أن نتجف
كلانا من هول الجريمة ؟

ادوارد - ماذا تقول حبيبتي ؟ هل هي مصممة ؟
الكونتس - مصممة على أن أنحال من
قبودي ، وإذن إليك هذا :

أنجز وعدك أيها الملك العظيم أصبح لك .
قف حيث أنت وسأبتعد عنك قليلاً
ثم ترى كيف أسلم نفسي بين يديك
(تلفت إليه فجأة كاشفة عن سكينين)

ها على جنبي تتدلى سكيننا زواحي
خذ إحداها فاقتل بها ما يكتك
وتعلم مني أين هي راقدة ،
فسأقتل بالأخرى حبيبي الذي ينام نوماً عميقاً
في سويداء قاي ؟

فاذا ذهبنا جميعاً فساوضح لارادتك غرامك .
لا تحاول أيها الملك الداعر أن تمنعني
فان غزى أمرع في حركته من محاولتك
انقاذي

فاذا تحركت فساأضرب ، فقف مكانك ،
واستمع لما أخبرك به
فأما أن تقسم على المدول عن رغبتك الشريرة
فلا تعود أبداً إلى محادثتي فيها وإلا أقسمت
بالسما (ترك) أن تلتطخ هذه السكين الماضية
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدى
المسكين . أقسم يا ادوارد أقسم !

وإلا فساأضرب هنا وأموت تحت قدميك
إدوارد - إني لأقسم بالقوة التي تزودني الآن
روح الحجل من نفسي ألا أفتح شفتي بعد
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .

انهضى أيتها السيدة الانجليزية صدقا التي
ستفخر بها جزيرتنا أبداً بخير مما يستطيع أي
روماني أن يفخر بتلك التي أجهد كنزها اللبوش
أقلام الكثيرين عبثاً في محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتي عماد سمعتك الشريفة
التي ستغنين بها على مر الأجيال
انهضى فاقعد أفقت من ذلك الحلم الكريه
عبر الجبل محمدى